الفصل السابع: طرق جمع البيانات لأغراض البحث

تمهيد:

تعرض على الباحث مجموعة متنوعة من الطرق لجمع المعلومات، وذلك لغرض الإجابة على الإشكالية الموضوعة آنفا (تحليل وثائق، الملاحظة، المقابلة، الاستبانة ومواقع الإنترنيت)، قد يستعين الباحث بكل الطرق المذكورة سابقا، وقد يختار منها ما يلاءم خصائص ومميزات بحثه.

سنتناول فيما يلي الطرق الخمسة لجمع المعلومات لأغراض انجاز بحث أكاديمي، وسنعمد في كل مرة إلى عرض مميزات كل طريقة، شروط تطبيقها، ايجابياتها وسلبياتها.

1. تحليل الوثائق كأداة لجمع المعلومات لأغراض بحثية:

تمثل الوثيقة مجموعة من المعلومات الموثقة في وعاء مادي (ورقي، مصور، سمعي، بصري، إلخ.). وقد يعتمد على الوثائق بشكل حصري في الجانب النظري للبحوث الأكاديمية، والمتمثلة في الكتب، الرسائل والمذكرات الجامعية، التقارير، القوانين، المجلات والدوريات، إلخ. وغالبا ما تكون هذه الوثائق منشورة، كما يمكن أن نجد بعضها غير منشور كالرسائل الجامعية، ونجد أغلبها في المكاتب بمختلف أنواعها، وهي توفر معلومات موثوقة إلى حد بعيد.

للوثيقة خاصيتين: خاصية مادية تتمثل في وعاء الوثيقة (ورقي، سمعي، بصري، إلخ.)، وخاصية معنوية هي محتوى الوثيقة من معلومات ومصادرها وأصحابها، إلخ. وعلى الباحث أن يكون حذرا عند استخدام أي الوثيقة، وذلك من خلال التحقق من أصليتها سواء خاصيتها المادية أو المعنوية.

1.1 شروط الاستفادة من الوثائق في البحوث الأكاديمية:

يجب التحقق من ثلاثة شروط أساسية عند استخدام وثيقة ما:

- **أصلية الوثيقة**: من خلال التحقق من مصدر الوثيقة، تاريخ صدورها وإيداعها.
- **موثوقية الوثيقة**: من خلال التحقق من صحة البيانات التي تحتويها.
- **إمكانية استخدام الوثيقة (متاحة)**: من خلال إمكانية استخدام الوثيقة من دون حواجز أو عوائق.

2.1 عرض أهم الوثائق المستخدمة في البحوث الأكاديمية:

هناك مجموعة كبيرة من الوثائق التي يمكن استخدامها في البحث الأكاديمي، نذكر أهمها فيما يلي:

1.2.1 الكتب:

عبارة إن إنتاج فكري أصيل لباحث أو أكثر، وذلك في قالب بيداغوجي أو علمي يعالج موضوع معين، وهي تمثل مصدر مهم للمعلومات منذ القدم إلى غاية الآن.

2.2.1 المراجع:

هي كتب تتميز بحجمها الضخم وشمولية معالجتها للمواضيع، وتستخدم من قبل الباحثين لهيكلة بحوثهم واستقاء أهم المعلومات. ويتميز المرجع عن الكتاب بما يلي: التنظيم المحكم في ترتيب المعلومات، شمولية معالجة الموضوع أو المواضيع، ضخامة حجمها وتعدد مجلداتها.

3.2.1 الموسوعات:

تشمل الموسوعات مجموعة من الدراسات التي عالجت موضوع معين، تتيح للباحث أخذ فكرة عامة حول موضوع محدد، وتساهم في الإحاطة الفكرية بموضوع ما قبل الانطلاق في البحث الأكاديمي.

4.2.1 المعاجم (القاموس):

يتضمن المعجم معاني للكلمات ومفرداتها وطريقة نطقها في لغة معينة، ترتب الكلمات ترتيبا هجائيا لتسهيل البحث عن ما يصبو إليه الباحث.

5.2.1 معاجم التراجم والسير:

توفر معلومات شاملة ودقيقة عن حياة الأعلام من الناس، وذلك في قالب تاريخي واجتماعي.

6.2.1 البيبليوغرافيا:

تعرض السيرة البحثية للباحث المعني، وتفصل في مسيرته البحثية وانجازاته، انطلاقا من بداية تكوينه إلى غاية آخر انجازاته. وتركز على إنتاجه العلمي وتفصل في كل انجاز (العنوان، الطبعة، الناشر، مكان النشر، سنة النشر والصفحات).

7.2.1 المقالات، المجلات والدوريات:

عبارة عن دراسات مختصرة لمجموعة من الباحثين تحت عنوان واحد، تصدر من قبل جهة واحدة وفي نفس الوقت، قد تكون متسلسلة زمنيا كما قد تصدر منها أعداد في أوقات غير متوالية، تعالج مواضيع الساعة وتوفر معلومات حديثة.

8.2.1 المواد السمعية والبصرية:

عبارة عن أشرطة وثائقية، مقابلات، أفلام، تحقيقات سواء سمعية أو بصرية أو سمعية وبصرية في نفس الوقت، توفر مادة علمية تفاعلية وتستخدم لربح الوقت في معالجة موضوع ما.

2. المـــــلاحظة كأداة لجمع المعلومات لأغراض بحثية:

تعتبر الملاحظة من أقدم وسائل جمع المعلومات، تستخدم لمشاهدة الظواهر الفلكية والفزيائية، بالإضافة إلى تتبع ووصف أنماط معيشة الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم. وقد تم استخدام الملاحظة من قبل ابن سينا في تجاربه الطبية، وابن الهيثم في تجاربه على البصريات، ومن قبل ابن بطوطة في ترحاله عبر الأقطار والأمم، وكذا ابن خلدون في تتبع خصائص الشعوب والمجتمعات... ويمكن تعريف الملاحظة على أنها: وسيلة فعالة لنقل التفاصيل، الخصائص والمميزات التي تشكل الظواهر والتصرفات والسلوكيات والإرث المادي واللامادي للشعوب والأمم. وتسمح الملاحظة بنقل معلومات متواترة شفهيا أو كتابيا، والتي قد تسمح بتشكيل تصور يحاكي الحقيقة، نظرا لاستحالة أو لعدم ملائمة استخدام الوسائل السمعية البصرية في ذلك المكان أو الزمان.

1.2 شروط الملاحظة الموضوعية:

هناك ثلة من الشروط الواجب توفرها في الملاحظة، وذلك للحكم على موضوعيتها والمتمثلة فيما يلي:

- التحديد المسبق لموضوع الملاحظة وأهدافها واستخداماتها؛
- تحديد وعاء لتسجيل تفاصيل الملاحظة بغرض توثيقها في حينها؛
- التحقق من صدق الملاحظة لتثبيتها زمنيا ومكانيا، وذلك عبر تكرار هذه الوسيلة أكثر من مرة؛
- التحقق من الأهداف المرجوة من الملاحظة، ومدى وملائمتها لما تم ملاحظته على أرض الواقع.

2.2 أنواع الملاحظات:

هناك نوعين رئيسيين من الملاحظات:

1.2.2 الملاحظة بالمشاركة:

بهدف تجنب التصنع في السلوكيات والتصرفات، ومن أجل نقل الواقع كما هو، يسعى الملاحظ في هذه الحالة تقمص دور فرد من أفراد المجتمع أو البيئة موضوع الملاحظة. مثلا التمويه في الطبيعة من خلال استخدام لباس ذو ألوان تنبع من تلك الطبيعة، مثل ما يقوم به الجنود؛ أو الاندماج في ورشة من مصنع كعامل جديد، أو مسجون حديثا... للتمكن من نقل الواقع كما هو.

2.2.2 الملاحظة من دون مشاركة:

بهدف تلافي التأثير السلبي عند إقحام فرد دخيل في المجتمع، أو لتجنب الأخطار التي تكتنف الاندماج في المجتمعات الخطرة، إلخ. يسعى الباحث في هذه الحالة إلى اتخاذ دور المتفرج وليس المشارك، من خلال استخدام معدات ووسائل مخفية لنقل تصرفات الأفراد، مثل استخدام معدات سمعية أو بصرية أو كلاهما في نقل الواقع.

3.2 مزايا وعيوب الملاحظة:

لا تخلو الملاحظة كأداة لجمع المعلومات لأغراض بحثية من الإيجابيات والسلبيات، والتي سنذكر أهمها فيما يلي:

1.3.2 مزايا الملاحظة:

من بين أهم مزايا الملاحظة ما يلي:

- أداة ناجعة لجمع ونقل المعلومات من بيئتها، لاسيما منها الظواهر الفلكية، الكوارث الطبيعية، الحياة في البرية، إلخ؛
- الأداة المفضلة لتتبع السلوكيات والتصرفات البشرية في زمان ومكان محددين، وكذا ردة فعلها تجاه حادث ما؛
- الأداة المفضلة للحصول على أفكار خارج الصندوق وعلى المباشر، والتي لم تتناولها الدراسات السابقة؛

- تسمح الملاحظة من احتواء الدراسة من خلال ملاحظة عدد محدود من الأفراد، دون توسيع الدراسة للعينة أو المجتمع ككل؛
- تسمح الملاحظة من قيادة الدراسة الميدانية بصفة ذاتية من قبل الباحث، من دون الحاجة إلى فريق مساعد أو وساطة.

2.3.2 مزايا الملاحظة:

من بين أهم عيوب الملاحظة ما يلي:

- قد تحتاج سيرورة العمل الميداني لبلوغ الأهداف وتسجيل النتائج الكثير من الصبر والجلد، لاسيما في الظواهر الفلكية الاستثنائية والكوارث الطبيعية العرضية؛
- قد تكتنف الدراسة ثلة من الأخطار على الباحث، والتي لا يمكن التنبؤ بها أو تلافيها، لاسيما في الأماكن العمومية أو في المؤسسات العقابية؛
- قد يؤثر الزمان والمكان على نتائج الدراسة الميدانية، خصوصا عندما لا يحالف الباحث الحظ في اختياره لزمان ومكان قيادة الدراسة الميدانية.

3. المـــــــقابلة كأداة لجمع المعلومات لأغراض بحثية:

المقابلة عبارة عن استبانة شفوية بين السائل والمجيب، يسعى من خلالها الباحث إلى وضع محاور تتضمن بدورها أسئلة ـ وتطرح الأسئلة بصفة شفهية تفاعلية- وتترك حرية الإجابة والتفاصيل للمجيب، حيث تدون الإجابات وتفاصيل كل إجابة من قبل الباحث، ليقوم هذا الأخير فيما بعد بمعالجتها وتبويبها.

1.3 أهمية المقابلة في جمع المعلومات:

قد تكون المقابلة الوسيلة الوحيدة المتاحة أحيانا في جمع المعلومات لأغراض بحثية، لاسيما في الحالات التالية:

- إلزامية قيام الباحث بذاته بطرح الأسئلة، نظرا للإمكانيات التي يتمتع بها في التأطير النفسي للمجيب وتوفير بيئة نفسية مريحة؛
- إلزامية قراءة الأسئلة من قبل الباحث، وتكييفها مع المستوى التعليمي الذي يتمتع به المجيب، ولاسيما حالة الأفراد الذين يعانون من الأمية؛

- إلزامية خلق حوار تفاعلي بين الباحث والمجيب، وربما الارتجال في طرح أسئلة أخرى فـــجائية -غير مخطط لها- للحصول على تفاصيل، قد يستند من خلالها الباحث في تأسيس النتائج المتوصل إليها.

2.3 أنواع المقابلات المستخدمة في جمع المعلومات:

يمكن ذكر في هذا الصدد ثلاثة أنواع من المقابلات:

1.2.3 المقابلة المسحية:

تهدف إلى استقاء الآراء والمعلومات حول قضايا عامة أو خاصة لتنوير الرأي العام، مثلا: ظاهرة التضخم وارتفاع الأسعار، ظاهرة الجريمة والأمن في منطقة معينة، جودة الحياة العامة، إلخ.

2.2.3 المقابلة التشخيصية:

والتي تهدف عموما إلى تجميع معلومات كافية وملائمة تدور حول تشخيص خصائص ومميزات ظاهرة ما، بحيث يتم تحديد الأسباب المتحكمة في تلك الظاهرة أو المشكلة. مثلا تشخيص الأسباب المتحكمة في: الجريمة في الأحياء الفقيرة، تفشي ظاهرة التسول في أماكن وأوقات محددة، تفشي ظاهرة التسرب المدرسي في مدارس دون أخرى، إلخ.

3.2.3 المقابلة العلاجية:

والتي تهدف عموما إلى تجميع معلومات كافية وملائمة حول ما يمكن اقتراحه من حلول تصحيحية لمعالجة ظاهرة معينة. مثلا مقابلة أشخاص لديهم سوابق عدلية من أجل نصح الشباب المغرر بهم، مقابلة ضحايا حوادث المرور لنصح السواق حول عواقب المغامرة في الطريق العمومي، إلخ.

3.3 مزايا وعيوب المـــــقابلة:

على الرغم من إتاحتها الفرصة لربط تواصل مباشر بين السائل والمجيب، لا تخلو المقابلة بدورها من الإيجابيات والسلبيات، والتي سنذكر أهمها فيما يلي:

1.3.3 مزايا المـــــقابلة:

من بين أهم مزايا المـــــقابلة ما يلي:

- تستخدم في الحالات التي يصعب فيها استخدام الاستبانة، لاسيما حالة أفراد يعانون من الإعاقة، الأمية أو القصر؛
- تستخدم في الحالات التي يتدخل فيها الباحث، وذلك لحث المجيب على تقديم تفاصيل وأدلة لتأسيس رأيه أو إجابته؛
- تستخدم في الحالات التي تكثر فيها حالات العزوف عن الإجابة باستخدام الاستبانة، أو المواضيع الحساسة التي يرغب فيها المجيب في الكلام عوض الاعتراف كتابيا بمعلومات خاصة؛
- تستخدم حواس الباحث في وضع المجيب في موضع أريحية، لاسيما نبرة الصوت أو حركات الجسم أو علامات الوجه.

2.3.3 مزايا المـــــقابلة:

ومن بين أهم عيوب المـــــقابلة ما يلي:

- قد يضطر الباحث للانتظار طويلا من أجل تنظيم مقابلة مع كبار المسؤولين في إدارة منظمة، وقد لا يحصل على هذه الفرصة في الأخير؛
- قد يؤثر حضور الباحث أثناء المقابلة على نوع إجابات المجيبين، نظرا لضعف تسييره للمقابلة وأخطاء في تأطير عملية طرح الأسئلة؛
- تأخذ المقابلة وقت طويل، نظرا للوقت المخصص لكل فرد على حدى، عكس الاستبانة التي تعطي الوقت اللازم للمجيبين، ليتم بعد وقت قصير جمع الاستمارات؛
- قد يتحيز الباحث لفئة محددة من المجيبين، نظرا لضعف تقدير تأثير المكان والزمان في اختيار المجيبين من جهة، ومن جهة أخرى عدم اعتماد طريقة علمية في تحديد تمثيلية العينة.

4. الاستبانة كأداة لجمع المعلومات لأغراض بحثية:

تستخدم الاستبانة على نطاق واسع من قبل الباحثين في العلوم الإنسانية، أو من أجل تنوير الرأي العام في قضايا عامة، إلخ. وتعتمد الاستبانة على استمارة أسئلة منظمة في شكل محاور، متسلسلة بشكل منهجي ومحكمة من قبل العارفين بالموضوع سواء أساتذة أو مختصين... يقوم الباحث بالتعريف بالموضوع المطروح و الأهداف المرجوة - في تمهيد خاص في مقدمة الاستبانة- ويتعهد بحماية معلومات المجيبين.

1.4 شروط الاستخدام الموضوعي للاستبانة:

هناك مجموعة من الشروط التي يجب احترامها من قبل الباحث، حتى تكون الاستبانة أداة فعالة في جمع المعلومات. ومن بين أهم هذه الشروط:

- أخذ الموافقة من الجهات المعنية قبل توزيع الاستبانة على أفراد العينة أو المجتمع؛
- احترام المستوى العلمي أو الثقافي للمجيبين عند تحضير الأسئلة، مع استخدام تعابير ومصطلحات ملائمة للمشكلة المطروحة؛
- اختيار الإجابات الملائمة والمحتملة لكل سؤال، وعدم ترك المجال للارتجال أو الذاتية من قبل المجيب، من خلال تحكيم الاستبانة من قبل مختصين؛
- توضيح الأسئلة بشكل ملائم، وذلك حتى لا تلتبس الأمور على المجيب. ولتلافي هذا اللبس، نقوم باختيار عينة استطلاعية لاختبار اتساق الأسئلة، وذلك من خلال توزيع أسئلة الاستبانة على نفس أفراد العينة وأكثر من مرة، ثم التحقق من مدى تطابق الإجابات؛
- تجنب الاستبانة التي تحتوي على الكثير من الأسئلة، حيث قد تكون العملية مملة على المجيب، والذي قد يعزف عن الإجابة؛
- من المستحسن البدء بالأسئلة البسيطة لوضع المجيب في موضع أريحية، بغرض إتمام الإجابة على كل أسئلة الاستمارة.

2.4 أنواع أسئلة الاستبانة:

يمكن ذكر مجموعتين كبيرتين من أسئلة الاستبيان:

1.2.4 أسئلة محددة الإجابات:

في هذا النوع من الأسئلة يحدد الباحث الإجابات المحتملة، وما على الباحث إلا اختيار أحدها أو أكثر... وتتعدد الأجوبة المحددة على الأسئلة من إجابتين إلى أكثر من ذلك كما يلي:

أ. الإجابات الثنائية:

التي تحتمل عادة الإجابة بـــــ: .....(نعم) أو .....(لا)

ب. الإجابات المتعددة:

نجد في هذا النوع مثلا:

- مقياس "**ليكارت الثلاثي**": .....(موافق).....(حيادي).....(لا أوافق)
- مقياس "**ليكارت الخماسي**": ....(موافق جدا) ....(موافق).....(حيادي).....(لا أوافق).....(لا أوافق جدا)
- "**إجابات مختارة**" لكل سؤال: مثلا سؤال حول جسامة الخطر حين حدوثه .....(معتبر) أو .....(عال) ..... (متوسط) .....(ضعيف).....(مهمل).

قد تساعد الإجابات المحددة عموما في المعالجة الإحصائية للبيانات وتبويبها، بالمقابل لا تترك الحرية للمجيب من أجل إسناد رأيه.

2.2.4 أسئلة غير محددة الإجابات (إجابات حرة):

هناك من المواضيع التي لا يكن التنبؤ بكل الإجابات المحتملة لأسئلتها، لذا يحبذ من المجيب أن يجيب بكل حرية، لاسيما في الحالات التي يهدف من خلالها الحصول على إجابات أصيلة أو خارج الصندوق.

قد تزيد صعوبة هذه الإجابات غير المحددة في المعالجة الإحصائية للبيانات وتبويبها، بالمقابل تترك مجال حرية واسع للمجيب من أجل التعبير الحر عن رأيه وتقديم التفاصيل.

ملاحظة:

يمكن أن نجد في نفس الاستبانة كل الأنماط المتطرق إليها آنفا نظرا لتمايز المحاور.

5. مواقع الإنترنيت كأداة لجمع المعلومات لأغراض بحثية:

لا تعتبر الانترنيت وسيلة حديثة في وقتنا الحالي، بل باتت أداة تقليدية لا يمكن الاستغناء عنها في تجميع المعلومات والاقتباس، نظرا لسهولة استخدامها، وتوفر مصادر المعلومات في مكان واحد. يبقى وأنه على الباحث الأكاديمي أن يستعمل المواقع الرسمية لمراكز البحث أو الوزارات أو الجامعات، دون المغامرة في استخدام معلومة من دون التأكد من مصدرها. وغالبا ما تكون المصادر غير المجانية والمتخصصة أكثر أمانا من تلك المجانية والمتاحة للعموم.